الإرهاب والإسلاموفوبيا

متلازمة الإعلام الغربي

د. لصوان كافية

كلية علوم الإعلام والاتصال،

جامعة الجزائر3

مقدمة :

تلعب وسائل الإعلام عبر أوعيتها التقليدية والإلكترونية دورا في ترسيخ القيم السائدة وصناعة صور نمطية من خلال التغطية المستمرة لمختلف الأحداث والوقائع التي تهم الرأي العام، وبإمكانها فرض أجندة محددة على المتلقي أو المستخدم وفقا لتوجهاتها الاعلامية والسياسية.

إنّ العداء الغربي للإسلام هو عداء تاريخي تترجمه الصراعات المعلنة والخفية التي تجسدت في الحروب والاستعمار ومحاولات التنصير وتشوية التاريخ الاسلامي وغيرها والأكيد أن الآليات المعتمدة اختلفت باختلاف الحقب الزمنية فمن السلاح للقلم وصولا لوسائل الاعلام التي توظف في تشويه صورة الإسلام والمسلمين وحتى الكتاب المقدس "القراءن الكريم" وتجلى ذلك وبوضوح بعد أحداث ***الحادي عشر سبتمبر*** أين انساقت وسائل الاعلام الغربية في تغطيتها للاحداث في الربط بين الارهاب والإسلام دون التمييز بين الاسلام كعقيدة وبين الممارسات اللامسؤولة لبعض المتطرفين الذين لا يمثلون في حقيقة الأمر إلا أنفسهم وتواصلت التغطية الاعلامية على نفس المنوال سواء في باريس أو بروكسل فأصبحت القنوات الغربية مصابة "***بمتلازمة الارهاب والاسلاموفوبيا***" متجاهلة أن التطرف سيولد تطرفا مضادا وأن التحامل على الإسلام والمسلمين سينعكس سلبا على شعوبها، وسنحاول من خلال الورقة البحثية الإجابة على السوال المحوري التالي :

ماهي المعايير المهنية التي ينبغي على الإعلام الالتزام بها في تغطية الأعمال الارهابية ؟ وكيف يمكن للإعلام العربي إعادة بناء صورة نمطية إيجابية عن الإسلام والمسلمين ؟

ستكون الإجابة عن التساؤل من خلال التطرق للمحاور التالية :

-التوصيف النظري لمفهومي الإرهاب والإسلاموفوبيا.

-إزدواجية الخطاب الغربي في التعامل مع مفهوم الارهاب.

-عجز الإعلام العربي عن ترميم صورة الإسلام عند الغرب : الأسباب والحلول.

- التوصيف النظري لمفهوم الإرهاب ومفهوم الإسلاموفوبيا :

يعدّ كلا من مفهوم الإرهاب ومفهوم الإسلاموفوبيا من المفاهيم المطاطية القابلة لإعادة التشكيل والتعديل أو بالأحرى التلاعب بهما فكريا وإعلاميا تبعا لاختلاف التوجهات الفكرية والسياسية والعقائدية وحتى المصالح. . ويعتبر الربط بين المفهومين أمر مبرر أكاديميا رغم التباعد الزمني لظهورهما من الناحية الإصطلاحية، لأنّ الإرهاب في منظومة الغالب اليوم هي مرادف "*للإسلام*" ومن ثمّ "***فكلّ إرهابي هو مسلم***".

إنّ تحديد المفاهيم وصياغتها يخضع لمقياس القوّة السياسية للدول ومقولة *ابن خلدون*هي أحسن دليل يمكن الإستشهاد به" ***إن المغلوب مولع أبدا بالإقتداء بالغالب في شعاره وزيه ونحلته وسائر أحواله وعوائده"(سلامة، 2012)***

وتوظيف هذه الفكرة ليس اعتباطيا مادام بعض مفكرينا والكثير من قنواتنا الإعلامية تعيد اجترار المفاهيم الجاهزة الموظفة في الإعلام الغربي وفي المستوى الرسمي لديها مدعمة بذلك عن قصد أو دونه الصورة النمطية السلبية للإسلام.

وعلى عكس مفهوم الإ سلاموفوبيا، فإن الإرهاب كمفهوم وكظاهرة قديم الطرح في الأدبيات الفكرية وطرأت علية تغييرات وإضافات عبر الحقب التاريخية.

إنّ الإرهاب ظاهرة قديمة باعتباره شكلا من أشكال العنف الممارس من فرد أو جماعة أو منظمة. . واتخذ مفهومه المنظّم في النصف الثاني من القرن التاسع عشر وأوائل القرن العشرين باعتباره أعمال عنف منظمة تحرّكها بواعث متنوعة سواء كانت عرقية أو عنصرية أو سياسية

وترتكب ضد الحكومات والانظمة القائمة (تمار، 2007، ص 43). والأكيد أنّ الحدود الفاصلة بين الإرهاب كسلوك عشوائي وعنيف وبعض المفاهيم المشابهة ليست واسعة، فالهدف قد يصنع الفارق مثلا بين الجريمة والإرهاب والجريمة المنظمة ويظهر هذا التداخل إعلاميا خاصة، فبعض أساليب العنف يتعمّد تسميتها إرهابا وأخرى جريمة دون وجود مبررات علمية واضحة.

ونشير في هذا الصدد أنّ منظمة الأمم المتجدة لم تتمكن من التوصل لتعريف موحد لمفهوم الإرهاب، إذ أنّ ما تعتبره دولة ما عملا نضاليا وكفاحا مشروعا يجب تأييده ودعمه يعتبر لدى دولة أخرى عملا إرهابيا يجب إدانته ومكافحته (تمار، 2007م، ص43)

وانعدام مؤشرات واضحة لتحديد مفهوم الإرهاب أوجد بلبلة في الأوساط السياسية والإعلامية وحتى لدى العموم من الناس وبات لكل مقاييسه في توصيف المفهوم وأضحى المعيار الاساسي هي الدول الكبرى خاصة الولايات المتحدة الأمريكية، مما يؤثر على الدولو الحركات الساعية لتحرير أنفسها من الهيمنة الإستعمارية.

إنّ الإرهاب هو الخلق المتعمد للخوف واستغلاله في تحقيق التغيير السياسي، وبالتالي فهو دون شك شكل من أشكال الحرب النفسية، وتختلف المجموعة المستهدفة وفقا لاختلاف أهداف الإرهابيين ودوافعهم وأغراضهم وقد تشمل حكومة قومية أو حزبا سياسيا أو مجموعة اثنية أو دينية منافسة أو دولة كاملة ومواطنيها أو الرأي العام العالمي، وقد يكون الهدف من الهجوم الإرهابي قطاعا محددا من جمهور معين أو أنه ربما يكون قد خطط بحيث يستهدف قطاعات وجماهير متعددة (**لاكير**، ص 20) من اليسار إلى اليمين المتطرف وصولا للإسلام، قد تلخص هذه العبارة المسار التاريخي لمفهوم الإرهاب، فتاريخيا بدأت الدراسة المنهجية للإرهاب في عقد السبعينات من القرن الماضي، وكان الإعتقاد السائد لدى البعض بأن الإرهاب كان وقفا على جماعات يسارية متطرفة تحتكره دون سواها "كالألوية الحمراء الإيطالية أو الجيش الأحمر الألماني، والمجموعات الأمريكية اللاتينية المختلفة، كما كان هناك إرهاب إثني قومي مثلما هو الحال في إيرلندا الشمالية، إلا أنه لم يكن يتم إبرازه

بنفس الأهمية، من هنا جاء الإستنتاج : يبرز الإرهاب إلى حيز الوجود حيثما تعرض الناس للإستغلال والقمع الشديد ولذا فإنّه من الممكن إنهاء الإرهاب بسهولة من خلال إزالة الإستغلال والقمع (لاكير، ص 20) كما ظهر الإرهاب في عقد الثمانينات من خلال اليمين المتطرف كتفجير المبنى الحكومي الفيدرالي في أوكلاهوما سيتي عام 1995(**لاكير**، ص 21).

من الملاحظ في مسار تطور الإرهاب ارتباطه بتيارات فكرية سياسية عنصرية، غير أنه وبظهور ما يعرف بالاسلام السياسي تم ربط الإرهاب بديانة سماوية ومن ثم إلصاق تهمة العنف بأكثر من مليار مسلم.

وبهذا الصدد يرى الباحث ***وولتر لاكيير*** ضرورة مقاومة إغراء المساواة بين الإرهاب وهذه الجماعات الإسلامية لسبب بسيط أن الإرهاب سبق ظهور" *الإسلاماوية*" المقاتلة بفترة طويلة ولعلّه سيستمر في الوجود بعد اختفاءه.

ولا شك أنّ أحداث **الحادي عشر سبتمبر** قد عزّزت استخدام مفهوم الإرهاب لدى الساسة والقنوات الإعلامية، لا سيما أنّ الولايات المتحدة الامريكية هي الدولة المتضررة من الهجمات ماديا ومعنويا وهذا مادفع بأحد الباحثين بالتعليق على الأمر كالتالي : "***ربما لم تثر ضجة إعلامية وسياسية حول حدث معاصر مثلما أثاره حدث 11 أيلول /سبتمبر 2001، حتى لكأنّ التاريخ انقسم إلى ما قبل هذا الحدث وما بعده***" (بورادوري، 2013م، ص 7)

وأعلنت الولايات المتحدة الأمريكية الحرب على الإرهاب وهو ما اعتبره هابرماس أمرا سلبيا إذ منحته بذلك "**شرعية سياسية** " مبديا في ذات الوقت قلقه "**إزاء ردة الفعل المفرطة ضد العدو المجهول**" (بورادوري، 2013م، ص 25)

إنّ هذه الأحداث كانت منعرجا في تناول المفهوم الذي رسمت ملامحه الولايات المتحدة الأمريكية لا سيما ان منفذوا الهجومات ديانتهم الإسلام ومن ثم تبنى الخطاب الإعلامي وحتى السياسي منه "مفهوم الإرهاب هو الإسلام "و" مفهوم الرعب من الإسلام"أو ما يعرف الإسلاموفوبيا.

وأصبح مفهوم الخطر الإرهابي يقوم على أساس ثقافي حضاري وليس على أساس إيديولوجي أو إقتصادي أو سياسي (**كامان، 1995**، ص 25)

أي أصبحنا ننظر للإرهاب من زاوية دينية بالدرجة الأولى.

- فوبيا الإسلام والرعب من المسلم :

إنّ الخوف من المسلم هو خوف من عقيدة سماوية انتشرت بين العرب والعجم ولازالت تستقطب الآلاف من سكان الأرض من معتنقي الديانات والمعتقدات الأخرى، ويعتبر مفهوم الإسلاموفوبيا حديث النشأة، حيث يرجع استخدامه إلى سنة 1996 من طرف اللجنة حول المسلمين البريطانيين والإسلاموفوبيا(oci، 2008)

فإن الظاهرة في حد ذاتها قديمة فالأحكام المسبقة وعدم التسامح إزاء الإسلام فوبيا قديمة عند الغرب تعود للقرن السابع مع بروز الإسلام وانتشاره، فالكنيسة وجدت نفسها أمام تحد ومنافس قويّ، فالعلاقة لم تكن تكاملية بل تصادمية(oci، 2008).

ويمكن الإستدلال ببعض الشواهد التاريخية لإبراز هذا الصدام الديني، ففي القرن 15 تمّ في إسبانيا اتخاذ قرار حتمية تبني المسلمين القاطنين فيها للدين النصراني أو طردهم أو قتلهم، رغم أنّ إسبانيا في ظل الحكم الإسلامي كانت البلد الأوروبي الأكثر تطورا ورفاهية وتسامحا وتحضرا وغنية فكريا وعلميا بطريقة جعلتها تغذّى أوروبا بكاملهاoci) ، (2008

إنّ العلاقة بين الغرب والشرق الإسلامي هي علاقة صراع في مسارها الرئيسي اكتنفته حروب وعمليات تشويه مقصودة حركتها في بدايتها جدالات لاهوتية، ثم تحولت في القرون الأخيرة إلى "علاقة تفوق" و هيمنة في ظل الإستعمار والأمبريالية(**الخطيب، 2008**).

إنّ طبيعة العلاقة التصادمية تحيلنا إلى مفهوم الصراع الحضاري إذ يدخل مفهوم الإسلاموفوبيا ضمن هذا النطاق الذي تبنته الولايات المتحدة الأمريكية بعد نهاية الحرب الباردة (**مرسي، 2010م**، ص 4) وتعززت هذه الأفكار مع **صمويل هنتغتون** ومقولة صدام الحضارات التي تحمل في طياتها أفكارا عنصرية تحثّ المجتمعات الغربية على مجابهة الحضارات الأخرى التي تختلف عنها وعلى رأسها الحضارة العربية الإسلامية وما عزّز فكرة الصراع الحضاري الهجمات التي تعرضت لها الدول الأوروبية في عدّة مناسبات مثل اعتداءات مترو باريس واعتداءات مدريد ولندن التي اتهمت في ضلوعها شخصيات عربية وإسلامية مقيمة بالدول الأوروبية (**مرسي، 2010م**، ص 4).

وانطلاقا مما قدّم في إطار تحليل مفهوم الإسلاموفوبيا يمكننا إدراج بعض الملاحظات لعلّ ابرزها أنّ أفكار *هنتغتون* رفضت من بعض كتاب الغرب واعتبروها عنصرية تدعو إلى الصراع الفكري والعملي وهو ما نشهده اليوم من تطاول على مقدساتنا الإسلامية كإهانة الرسول صلى اللّه عليه وسلّم والكتاب المقدّس القرءان الكريم.

إنّ فكرة الصراع مع الإسلام ولدت تيارا مضادا لدى الأمة المسلمة أيضا ويرفع البعض شعارات معادية للآخر المختلف عنّا عقائديا أي أنّ التطرف يولد بدوره تطرفا مضادا.

إنّ الجالية المسلمة والمنتشرة في مختلف دول الغرب اعتبرت بدورها العدو المهدد لقيم وثقافة ودين وأمن تلك الدول أي أن النظرة للمسلم المهاجر هي نظرة سلبية حتى وإن كانت بعض الدول تحاول تجاوز هذه العنصرية في خطاباتها السياسية الرسمية كألمانيا وبريطانيا مثلا.

إنّ منفذي الإعتداءات الإرهابية في دول الغرب هم أغلبهم مواطنون ولدوا وترعرعوا في ثقافة الغرب وهذا إن دلّ على شئ فإنما يدل على فشلها الذريع في احتواء مواطنيها وإدماجهم في مجتمعاتها وهذا قد يكون سبب تطرفهم وانتقامهم.

للأسف بعض التوجهات الفكرية في الدول العربية والإسلامية انصهرت في الخطاب الغربي محملة التيارات الإسلامية المختلفة تهمة الوقوف وراء التطرف لدرجة أن البعض أضحى يرفض مظاهر التدين كالحجاب واللحية وغيرها من الرموز المعبرة عن الدين الإسلامي.

إنّ الصراع الحضاري **لهنتغتون** وجد ضالته بعد أحداث 11 سبتمبر 2001، فأعادت الجدل من جديد وبكثافة عالية حول العلاقة بين الغرب والعالم الإسلامي فظهرت مقولات " إنهم يكرهوننا وإنهم يكرهون العالم الحر" وصولا لمقولة "الإرهاب الإسلامي" والربط بين الإسلام والإرهاب في حرب معلنة أطلق عليها "حرب الأفكار " (**الخطيب، 2008م**، ص 51).

وانتقل الطرح الفكري إلى طرح عملي نتيجة خطابات الساسة وبرامج الأحزاب التي جعلت من مناهضة الإسلام محورها الأساسي.

إنّ الإسلاموفوبيا مؤسسة ومجسدة في مراكز صنع القرار الغربية حيث تنقل وسائل الإعلام من حين لآخر تصريحات عنصرية تصدر عن شخصيات نافذة في الحكومات الغربية (كامان، ص 6).

إنّ الإسلاموفوبيا أضحت واقعا معاشا في الغرب وفي أوروبا خاصة ليس فقط من خلال منظومة القوانين التي تنتهك حقوق المسلمين، كقانون حظر الحجاب في فرنسا وبلجيكا وقانون حظر المآذن في سويسرا بل تعدّى ذلك نحو الخطاب السياسي والإعلامي السائد حيث أصبح مقبولا ومشروعا انتقاد المجموعات المسلمة من المهاجرين في الغرب (زغوني، ص 126).

وتبنت الأحزاب اليمينية المتطرفة التي يشكل العداء للأجانب ورفض الأقليات وفكرة التعددية الثقافية والدفاع عن هوية إثنو- وطنية وعن التقاليد القومية التاريخية والدعوة إلى الحد من الهجرة القاعدة الأساسية لبرامجهم السياسية (زغوني، ص 123).

إنّ الحديث عن مفهوم الإسلاموفوبيا حديث معقد وشائك نظرا لما تحمله الظاهرة من خلفيات تاريخية وتعقيدات حاضرة ومستقبلية لايمكن التنبؤ بها، إنّها ظاهرة تحكمها العديد من المؤشرات السياسية والدينية والأكيد أنها سلبية وستجلب الكثير من الدماء والدماء للغرب وللدول الإسلامية والعربية.

ولا يمكننا تعداد كل الأسباب التي أدّت لتنامي هذه الظاهرة، فإضافة إلى الأسباب التاريخية الدينية الناجمة عن الصراع مع النصرانية واليهودية، لعبت وسائل الإعلام أيضا دورا سلبيا من خلال سوء استخدام حرية التعبير واستغلالها من طرف جماعات المصالح لسبّ الإسلام ورموزه المقدسة والتحريض على اللاتسامح الديني والفكري.

- إزدواجية الخطاب الغربي السياسي والإعلامي في التعامل مع مفهوم الإرهاب :

تثير تغطية وسائل الإعلام للهجمات الإرهابية العديد من الإشكاليات التي طرحت في الكثير من المؤتمرات والدراسات الأكاديمية، ورغم الجدل المثار حول فحواها وشروطها وكيفية التعامل

مع هذه الأحداث الخاصة فإنّ الأكيد أن المؤسسات الإعلامية تتعامل مع ظاهرة الإرهاب انطلاقا من العديد من الإعتبارات المهنية والسياسية وحتى الإقتصادية وتخضع أيضا لجماعات المصالح التي تكون طرفا في الموضوع أيضا، والمهم في كل هذا أن السلطة الرابعة تعطي صدا لمثل هذه الهجمات المتطرفة كما قد تقتلها بصمتها والفاصل بين التوجهين هو الطرح الموضوعي الضامن لحق المواطن في إعلام كامل.

إضافة إلى إشكالية تغطية مثل هذه الأحداث نجد أيضا خطابا مزدوجا في التعامل معها سواء في الإعلام الغربي أو حتى في الإعلام العربي، وتبرز هذه الإزدواجية سواء في تناول الحدث كمّا وكيفا أو حتىّ في توصيف المفهوم وتحديد من هو الإرهابي ومن هو المجرم والقناص وغيرها من المسميات الّتي يفرضها الإعلام على المتلقي ويرسخ بها قناعات، "**فمحمد لحويج بوهلال**" إرهابي مع تحديد أصوله التونسية رغم أنّه مواطن فرنسي، ونشير أنّه كلّما تعلّق الأمر بالهجمات الإرهابية يتم دائما البحث عن أصول المنفذين لاسيما إن كانوا مسلمين أو عرب كأنّ العرب والمسلمين هم وحدهم الإرهابيون رغم أنّ مرتكب العمل الإجرامي هنا معروف بسوابقه وبتعاطيه للخمور وممارسته للعنف، ففرضية العمل الإجرامي المنعزل واردة.

إنّ التركيز على أصول الأفراد المنفذين للهجمات الإرهابية سيؤدي إلى تعزيز الشعور بالرّهاب من الآخر المختلف في المجتمعات الغربية، كما سيصعب عملية الإندماج في هذه المجتمعات بالنسبة للمولودين في هذه الدول ومن أصول عربية وإسلامية، أليس هذا الشعور بالإقصاء يعزّز التطرف والإنتقام ؟ فهؤلاء غربيوا المنشأ، أليس من الجدير التساؤل عن أسباب تعديهم على بيئة نشأوا فيها ؟؟؟؟

وعكس الضجة الإعلامية الغربية وحتى العربية حول العديد من الأحداث الإرهابية التي تمسّ العواصم الأوروبية فإن حدث مقتل ثلاث طلاب مسلمين على يد مواطن أمريكي بولاية **مورث كارولينا بالولايات المتحدة الأمريكية** لم يحظ بالتغطية المطلوبة واعتبر تصرفه **جريمة نكراء** وليس **عملا إرهابيا** وعنونت العديد من الصحف الحادثة واصفة التغطية

الإعلامية بالمنحازة وعلى سبيل الذكر لا الحصر : **بوابة الشرق الإلكترونية** كتبت : "*الإعلام الغربي يتعمد تجاهل مقتل ثلاث طلاب مسلمين بأمريكا*" (www. al. Sharq. com) وكذا **صدى الوطن** التي عنونت الموضوع بجريمة *شابل هيل" الثلاثية المروعة : إرهاب وكراهية وصمت إعلامي ورسمي* " أين أكد صاحب المقال على صمت وسائل الإعلام الأمريكية الكبرى عن الموضوع. (www. arabamericanneus. com).

وتدعيما لطرح الإزدواجية نورد **دراسة أكاديمية** نشرت في البوابة الإلكترونية الوفد بعنوان **الإرهاب يسقط أقنعة الإعلام الغربي**، حيث كشفت الدراسة عن الإنحياز الصارخ والفج الذي يمارسه الإعلام الغربي في تغطيته للعمليات الإرهابية، وترجمت الدراسة هذا الخلل الإعلامي بأرقام محددة وشملت وسائل الإعلام المقرؤة الورقية والإلكترونية خلال سنة 2015 ووفقا للدراسة فقد شهد العالم خلال السنة المدروسة 334 حادثا إرهابيا في أنحاء العالم وجاءت نيجيريا في طليعة الدول التي عانت من الإرهاب وعدد الضحايا فيها ب3193 قتيلا أي أكثر من هجمات الحادي عشر سبتمبر 2001 ثم مصر ب 298 واليمن ب288. .. الخ في حين لم تشهد الدول الغربية سوى 21 حادثا إرهابيا سقط فيه 246ضحية والمقارنة هنا طبعا غير ممكنة.

والمفارقة أيضا في التغطية الإعلامية التي **تظل منحازة للغرب** حيث تمّت تغطية الهجوم الإرهابي على جريدة شارلي إيبدو في باريس يوم 7 يناير 2015 وقتل فيه 12 شخصا ب 22 ألف موضوع وفي نفس اليوم قتل 38 شخصا في إنفجار في اليمن واقتصرت التغطية على 565تقريرا صحفيا فقط وهو ما يوضح الفارق الهائل في حجم الإهتمام الإعلامي بأي هجوم في الغرب مقارنة بغيرها من الدول (عبد الخالق، 2016م).

كما يتم توريط الإسلام في الإعلام الغربي عن طريق توظيف رموزه كالقراءن الكريم واستهداف الرسول صلى الله عليه وسلم ونشر رسوم مسيئة له واستهداف المرأة وعفتها ولباسها الشرعي وللأسف اللاتسامح الديني - الذي ترفضه كل الإتفاقيات الدولية - يساهم وبشكل سلبي في توليد الكره والتطرف من الجانبين وزيادة الإعتداءات على المسلمين ومقدساتهم في الغرب وبشكل رهيب.

إذن يتحمل الإعلام بأوعيته التقليدية والإلكترونية جزءا كبيرا من المسؤولية في صناعة الصورة السلبية عن الإسلام والمسلمين ومن ثمّ يتحمل مسؤولية التطرف الذي يتولد في مجتمعاتنا وكذا عدم القدرة على تحقيق الإندماج والتعايش مع الآخر المختلف في دولها. وبالمقابل لا يمكن إنكار وجود تطرف في مجتمعاتنا ممّا أساء لصورة الإسلام كدين عالمي يدعو للتسامح والإعتدال كما لا يمكن تجاوز الدور السلبي لبعض نخبنا ووسائل الإعلام التي تعيد إجترار الخطاب الغربي المسئ للإسلام.

- الإعلام العربي وقصوره في إعادة تشكيل صورة الإسلام : الأسباب والآليات

إنّ الإخفاق العربي في تصحيح الصورة السلبية عن المسلم والإسلام هو فشل تقني ونوعي، فالأوّل يرتبط بالتأخر في مواكبة التطورات التكنولوجية في الإعلام والإتصال ولا سيما في البث الفضائي والآخر مرتبط بنوعية المضامين الإعلامية التي يبثها ما يعرف "بالإ*علام العربي والإسلامي*" كما أنّه فشل مرتبط بالتوجهات السياسية للقنوات الإعلامية المحصورة بين قوسين إمّا ناطقة رسمية باسم دولها، تخضع لسياستها وإمّا معارضة للخطاب الرسمي لدولها، والطرف الخاسر هو المتلقي الذي يجد نفسه حائرا في مصادر تقصييه للأخبار لإدراكه التام أنّ مبدأ **التوازن** غير متوفر في إعلامنا العربي والإسلامي، ويضاف إلى هذا التقاذف بين النخب الموالية والمعارضة والتي تستعرض مواقفها عبر الأوعية الإتصالية التقليدية والإلكترونية.

لا يمكننا أن ننكر الطفرة النوعية الّتي حققها الإعلام الفضائي العربي والإسلامي لاستقطاب المشاهد إلاّ أن الجهود المبذولة تنقصها الإحترافية، وعلى حد قول الأستاذ **محمد قيراط** "*إنّ الفضائيات العربية قد فكرت في الوسيلة وأهملت الرسالة* " (**قيراط، ص 6**) وعلى سبيل المثال البرامج الحوارية التي يحسب للفضائيات العربية تقديمها غير أن المشاركين فيها ينغمسون أحيانا في ما يمكن وصفه بأنّه نوع من الإرهاب الفكري أو الحوار الإرهابي : إنّ الحقيقة عندهم ليست الهدف المنشود بقدر ما أنّ الهدف هو إثبات الذات وتسجيل المواقف واستعراض العنتريات(الخولي، ص 118).

كما أننا نعاني أزمة في المضمون، أزمة تؤكدها النسب المرتفعة للبرامج المستوردة والمدبلجة وتدني نسب إنتاج الدراما والبرامج التنموية وبرامج التنشئة. . (الحيدري، 2005م، ص 19).

إننا نعاني أيضا من فجوة عميقة بين ما نبثه وبين واقعنا الإجتماعي والسياسي والإقتصادي، إننا نعيش إغترابا قيميا حتى في إعلامنا.

هذه الممارسات وغيرها جعلت المتلقي في الدول العربية والإسلامية يكوّن أحكاما مسبقة عن هذه المؤسسات الإتصالية ويدعو أحيانا لمقاطعتها عبر حملات إعلامية أو يهجرها باحثا عن المعلومات في الإعلام الغربي الذي يعدّ إعلاما ذو مصداقية بالنسبة له وهذا في حدّ ذاته إشكالا، لأن الإعلام ليس بريئا في كثير من الأحيان.

إنّ المعطيات الرقمية يمكنها أن تقدّم لنا صورة عن نوعية البث الفضائي العربي "إذ نجد القنوات الرياضية تنفرد بأعلى نسبة في مجموع القنوات المتخصصة في البث الفضائي العربي بحيث يصل عدد هذه القنوات إلى 170 قناة، وتستأثر الدراما (الأفلام والمسلسلات بالمرتبة الثانية بما يناهز 152 قناة، والقنوات الغنائية ب124 قناة، والقنوات الدينية ب 95 قناة، وتاتي في المرتبة الخامسة القنوات الإخبارية ب 68 قناة. .. .. الخ (إتحاد إذاعات الدول العربية، 2014م).

و بالمقابل تبذل الدول الغربية جهودا معتبرة لاحتواء المشاهد في الدول العربية والإسلامية من خلال القنوات الفضائية الموجهة خصيصا له، تتكلّم لغته وتبث برامجا عن واقعه ولكن في نفس الوقت تحمل أجندة محددة تخدمها، إذن التحدي الفضائي العربي والإسلامي صعب ويحتاج لاستراتيجية إعلامية واضحة وإرادة سياسية عربية لتدعيم القنوات الإعلامية في رفع اللبس عن الإتهامات المجحفة الملفقة للإسلام وللمسلمين.

إنّ الحلول اللازمة لإعادة تشكيل الصورة الحقيقية للإسلام في أذهان الغرب ليس بالأمر السهل في ظل التحامل السياسي والإعلامي المنهج، غير أنه ممكن وهذا من خلال :

توفر الإرادة السياسية لدى حكومات الدول العربية والإسلامية من أجل توجيه الجهود نحو اتخاذ مواقف موحدة إزاء بعض القضايا العربية

المهمة والتعبير عن رفضها للخطابات المعادية للمسلمين والمشوهة للإسلام، مع تفعيل سبل التعاون بينها عبر التنظيمات المتاحة.

توجيه جهود الإعلام العربي والإسلامي نحو إظهار الإعتدال والتسامح المميز للإسلام كديانة سماوية والتركيز على بعدها الإنساني.

الإبتعاد عن الخطاب العدائي المعادي للغرب في الرسائل الإعلامية الذي يعزز التطرف ويضر بصورة المسلم والإسلام.

إشراك الاطراف الغربية في النقاشات حول الإسلام وتخصيص برامج موجهة لمجتمعاتهم لتعريفهم بالدين الإسلامي.

الإبتعاد عن تسييس المساجد التي تخصص للعبادة والدعوة.

خلاصة

إنّ الإسلام ليس دينا سيئا حتى نحسّنه، فهو آخر رسالة سماوية نزلت وهو دين عالمي موجه للعرب وللعجم، والأمر يتعلق بإعادة بناء الصورة الصحيحة له في أذهان الغرب، ولا تزال الخطابات الداعية لذلك حبيسة مستويات التنظير من ندوات ومؤتمرات في الوقت الذي يبقى العمل الميداني غير فعال سواء سياسيا أو إعلاميا وهذا رغم الجهود المعتبرة من بعض القنوات الإعلامية التقليدية والإلكترونية والمنظمات العربية والإسلامية، ويبدو أن الإختلافات المذهبية والساسية في بعض القضايا قد أثرت وبشكل ملحوظ على هذه المساعي، إذ لازلنا في مرحلة التراشق الفكري ورفض الإختلافات الجزئية وإتهام بعضنا البعض بالتعصب، فالمنطق يفترض أن يكون التسامح بيننا أوّلا.

قائمة المراجع

- **إتحاد إذاعات الدول العربية**، التقرير السنوي 2014، وضع البث الفضائي العربي، حوالي 1300 قناة تلفزيونية فضائية www asbu. net

الإعلام الخارجي، وزارة الخارجية الأمريكية.

- **بروس هوفمان**، شكل من أشكال الحرب النفسية، التصدي للعقلية الإرهابية، أجندة السياسة الخارجية، مكتب برامج الإعلام الخارجي، وزارة الخارجية الأمريكية.

- **بلال عوض سلامة**، ثقافة الغالب والمغلوب في فكر ابن خلدون، قراءة فلسطينية، الحوار المتمدّن، العدد 3913، 16-11- 2012

- **بورادوري جيوفانا**، الفلسفة في زمن الإرهاب، حوارات مع يورغن هابرماس وجاك دريدا، ترجمة خلدون النبواني، المركز العربي للأبحاث ودراسة السياسات، ط1، 2013.

- **تمار يوسف**، الإرهاب وإشكالية العمل الإعلامي، مجلة الإذاعات العربية، مجلة فصلية يصدرها إتحاد إذاعات الدول العربية، العدد 3 و4، 2007.

- **توماس كامان**، صراع الثقافات : تصاعد الإسلام في فرنسا، 5، Wall street journal 1995/01/

- **رابح زغوني**، الإسلاموفوبيا وصعود اليمين المتطرف في أوروبا، مقاربة سوسيو ثقافية.

- **عاصم عبد الخالق** يكتب : الإرهاب يسقط أقنعة الإعلام الغربي، البوابة الإلكترونية : الروافد، الإثنين 18 يناير 2016 على الساعة 13 : 12

- **عبد الله الحيدري**، الصناعات الإعلامية العربية، قراءة في وسائل الإنتاج، مجلة العلوم الإنسانية، العدد 9، 2005.

- **محمد الخولي**، دور القنوات الفضائية في التصدي لظاهرة الإرهاب، مجلة الإذاعات العربية، مجاة فصلية يصدرها إتحاد إذاعات الدول العربية، العدد 4، صفحة 118.

- **محمد قيراط**، الإعلام العربي الموجه للآخر والحوار بين الإسلام، كلية الإتصال، جامعة الشارقة.

- **مشري مرسي**، جدلية العلاقة بين الإسلاموفوبيا وحوار الحضارات، 1 نوفمبر 2010.

- **معتز الخطيب**، ظاهرة كراهية الإسلام، الجذور والحلول، ثقافتنا للدراسات والبحوث، المجلد 5 العدد السابع عشر 2008.

- **وولتر لاكير**، الإرهاب تاريخ موجز، التصدي للعقلية الإرهابية، أجندة السياسة الخارجية، مكتب برامج

- Oci ; Première rapport de l'observation de l'oci sur l'islamophobie pour présentation au 11eme sommet Islamique - Dakar -République de Sénégal, sans page 13/14 mars 2008.

- www. al. Sharq. com/12/02/2015-12 : 19.

- www. arabamericanneus. com. Friday/13/2/2015- : 35PM.